

أفلا يتدبرون القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ
أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى
ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ صدق الله العظيم

النساء ١٤٤ـ١٤٥)·



توجه الاية الكريمة من سورة النساء الحديث لجماعة المؤمنين . وقد خوطب المؤمنون في القرآن مرات كثيرة بصيغة الجمع التي توحي بانهم وحدة بشرية واحدة وان حياتهم وتربيتهم ومشاعرهم وقراراتهم ، وصيغتهم ، جماعية ، لا يذوب فيها الفرد ولكن وحدة الحياة ووحدة المصير المتضمنة في الايمان الذي يجمعهم تدفعهم نحو مد الأواصر بينهم حتى يكونوا جماعة ، وليخاطبوا كجماعة .

ويخاطب الله جل وعلا هذه الجماعة المؤمنة بأمر طالما يتعرض له الانسان الفرد والانسان في جماعة المؤمنين · فحين تشتد هجمة الباطل ويضعف جانب الايمان ، ويزداد حينئذ الشوق في قلب المؤمن لتحقيق هدف الاسلام وغرضه تراوده نفسه أن يطلب معونة من الكافرين ، ويزين لنفسه ذلك التجاوز انه لايلغي شيئاً من دينه ، ولايتنازل عن مبادئه ، وان تلك المعاونة آنية وذات زمن وقتى رغم انها تتطلب الخروج من جماعة المؤمنين إذ أن طالبها لا يتحدث ولا يطلبها من المؤمنين . والولاية هنا تعني المودة والسلطة والعلاقة .

وتنبه الآية الكريمة (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبينا) فاعلي ذلك من المؤمنين إلى أنهم يجعلون على أنفسهم سلطاناً : وهو الحجة والدليل · بل حجة واضحة أنهم تجاوزوا حدود الايمان بطلبهم المعونة والسند من غير حملة الايمان ، الذين يتجاوز غرضهم وتوجههم اغراض الايمان واهله · وتصف الآية الثانية المنافقين بأنهم ينحدرون الى الدرجات السفلى من العذاب وتقارن تلك الآية بين المؤمنين عند ولايتهم للكافرين وبين المنافقين وكأنها تريد اشارة الى ضخامة الذنب ودرجة الابتعاد التي يتنازل اليها المؤمن حين يخرج الى ولاية الكافرين ·

وهكذا توضح الآية خطورة طلب العون أو النصرة المعنوية ، أو المادية من غير المؤمنين ، وتشير الى خروج أولئك الطالبين من دائرة الايمان □